تترك اشياء وتلغي كثيرا من الاشياء ، وحتى الان ، لايزال النقد العربي يدور في فلك حزيران (استطاع فكر المقاومة السياسي ، خصوصا منه الجانب الثوري ، ان يضع يديه على الجرح العميق الذي تعاني منه الجماهير العربية في ظل انظمة غائبة) .

وعلى الصعيد السياسي ، كانت الانظمة العربية التي مستها الهزيمة العسكرية مسا مباشرا ، تبحث عن نفسها وسط كثير من الشعارات التي طرحتها للاستهلاك المحلي ، بينما اقتصرت اسرائيل على التلذذ بانتصارها العسكري الخاطف ، وكانت الجماهير العربية غير مصدقة ان هناك فعلا حربا وقعت ، وان هناك هزيمة فعلا وقعت ، وكانت الانظمة العربية تمني نفسها بالانتصار المعنوي (مشاريع السلام ، قرار مجلس الامن ، مشروع روجرز ، الخ ..) لكن اسرائيل كانت ولا تزال تتلذذ بالانتصار وتبني نفسها من الداخل والخارج ، وفي المقابل ، كانت المقاومة الفلسطينية هي وحدها في الساحة ، سواء على مستوى ادبي او على مستوى عسكري .

هل كانت هزيمة حزيران ٦٧ ايجابية ؟ من جهة نعم ، فشعر المقاومة اخذ العربة وحده واستمر في السير يولول ويبشر بالعودة وكان المثقفون العرب وراءه يبكون بمختلف الاصوات الحزينة : في مصر كتب جمال الغيطاني « حكاية شاب عاش منذ الف عام » ، وفي سوريا كتب سعد الله ونوس مسرحية « حفلة سمر من اجل خمسة حزيران ». وفي الاردن كتب تيسير سبول « انت منذ اليوم » وامين شنار « الكابوس » ، بينما في لبنان كتب حليم بركات « عودة الطائر الى البحر » ، وكان هناك حوار شعري قائم بين الشاعرة ناديا تويني (بالفرنسية) والشاعر انسي الحاج حول الهزيمة ، وبمرور سنين على النكسة ، وعى المثقفون اللبنانيون مسؤوليتهم واخذوا يدينون الانظمة المسؤولة عن النكسة : جلال خوري قدم مسرحية « جحا في القرى الامامية » وعصام محفوظ « لماذا رفض سرحان ما قاله الزعيم عن فرج الله الحلو » في تشرين ٧١ ، ومحترف بيروت قدم « مجدلون » ، بالاضافة الى مسرحيات اخرى وروايات اخرى واشعار اخرى (لا ننسى الاصطدامات التي كان يواجهها رجال المسرح اللبنانيون من طرف السلطة) ، وبصفة عامة ، ازدهرت ثقافة ما بعد حزيران بجميع انواعها وتوضحت الرؤية النقدية عند الجيل العربي الذي اطلقته الهزيمة من قيوده وكبته .

لقد استمر الادب العربي ، بعد حزيران ، يسير في ثلاثة اتجاهات رئيسية : دعم الثورة الفلسطينية بشكل مطلق ، ادانة الواقع العربي الفاسد المسؤول عن النكسة ، التطلع الى المستقبل بروح جديدة ونفس جديد ، حتى اللغة قد تبدلت ، في هذا الاطار تدخل الكتابات الجديدة للجيل العربي ، بدءا من مصر ، الى سوريا ولبنان ، الى العراق والاردن . ان جيل ٦٨ لم يكن ليظهر هكذا اعتباطا ، بل ان الظروف السياسية ، وما تحمله من تناقضات سوريالية ، كانت عاملا اساسيا في غرس وعي نقدي حاد ، وهكذا تجاوزت الاحداث والتجارب ، وكذلك تطور الوعي عند المثقف العربي ، تجاوزت كلها « احلام الفارس القديم » الذي ظل يجتر « مذكرات بشر الصوفي الماضي » (٢) .

تاريخيا ، لا يمكن ان يعطي ادب ما بعد حزيران ، الى الان ، اكثر مما اعطاه : لقد صفى الحسابات مع جيل ضامر لم يرد ان يتحرك منذ حركة التجديد في الشعر العربي . ذلك الجيل الذي انزوى قانعا بالانجازات الثقافية التي حققها في ظروف غياب الوعي الجماهيري وقبل انطلاقة حركة المقاومة عام ٦٥ ، والان ، حين نتساءل عن ملامح الادب العربي ، بعد حزيران الى حرب تشرين (اكتوبر) ، انما نفعل ذلك انطلاقا من عدة عوامل بارزة : اهمها ان ادب ما بعد حزيران قد استنفد ، هو الاخر ، طاقته واخذ يبحث عن بديل حتى ولو كان غامضا (تجربة شعراء « مواقف » الجيدة رغم سورياليتها) ، انحسار المقاومة الفلسطينية نتيجة الضربات من كل جهة خصوصا « ايلول الاسود » عام ٧٠ في الاردن ، تهافت الانظمة العربية على الحلول السلمية وما تبع ذلك من انعكاسات على الوضع العربي العام والمثقف العربي بوجه خاص حيث بدأ اليأس يدب ، حالة لا حرب ولا سلم ، « غياب » الجماهير العربية عن مسؤولياتها حيث لا زالت الى الان تحت الوصاية ، واخيرا تكالب الصهيونية والامبريالية (بتواطؤ مع الرجعية المحلية) على الشعوب العربية قصد تشكيكها في مقدرتها الذاتية على النضال . هذه العوامل ، وغيرها ، احدى المعطيات الاساسية ، جعلت الادب العربي ، بعد النصف الثاني من فترة الهزيمة ، موجودا لكنه غير فاعل .

ان الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، التي لم ينتصر فيها العرب كليا ولم ينهزموا كما حدث في يونيو ٦٧ ، ستكون ولا شك ذات منعطف آخر في مسيرة الادب العربي الحديث والفكر العربي الحديث ، كذلك ستكون منعطفا هاما في عقلية الانسان العربي الذي احس ، هذه المرة ، بنوع من التفاؤل ، ودون الاهتمام بلعبة وقف اطلاق النار ستظل هذه الحرب عاملا اساسيا من عوامل التحول في النفسيات والعقول ، وحتى لو استمرت او اوقفت ، فانها كانت تبدو ضرورية : لقد استمر عار ٦٧ جاثما علينا ست سنوات الى سادس اكتوبر ، من اجل ذلك تبقى المقاومة الفلسطينية هي المنطلق وهي المنتهى ، ان الاستمرار في النضال يعني الاستمرار في تأكيد الهوية العربية التي توضحت نسبيا في حرب سادس اكتوبر لتظل المقاومة وحدها ، ومن ورائها الادب بصفة عامة ، في الساحة . فهل ستكون هذه الحرب الحقيقية عاملا حاسما في نهاية ادب ما بعد حزيران ٦٧ وظهور ادب ما بعد اكتوبر ٧٣ ؟ مرة اخرى ليس هناك جواب نهائي ، وحتى اذا وجد فليس بالضخامة التي وضع بها ادب ما بعد حزيران ..

العلم
٢٦ تشرين الاول

(٢) ديوان صلاح عبد الصبور .

برقيـــة

تلقينا من وزير الشؤون الثقافية في تونس البرقية التالية نثبتها عملا بحرية النشر :

الى السيد مدير مجلة « الآداب » البيروتية ـ بيروت .

طالعت في عدد اكتوبر (تشرين الاول) من مجلة « الآداب » (ص ٩) نص برقية موجهة من اتحاد الكتاب اللبنانيين الى وزير الثقافة التونسي فحواها ان الشاعرة التونسية فضيلة الشابي كانت في المدة الاخيرة عرضة لاجراء تعسفي من السلطات التونسية تجسم في ما عبرتم عنه بحجز حريتها في الالتحاق بزوجها في الخارج الخ .. وقد أجريت بحثا في الموضوع فتبين ان السيدة فضيلة الشابي هي فعلا على أهبة الالتحاق بزوجها في الخارج ولديها جواز سفرها الذي يخولها ذلك خلافا لما جاء في برقية الاتحاد ، فالرجاء اشعار الاتحاد بهذه الحقيقة ونشر برقيتي هذه في نفس المكان الذي نشرت به البرقية المشار اليها أعلاه ، وتقبلوا عبارات التقدير والشكر .

وزير الشؤون الثقافية